الفصل العاشر

ثقافة السَّلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف

الفصل العاشر

ثقافة السَّلام في مواجهة ثقافة الكراهية والعنف

هل يمكن لثقافة السَّلام وقيمه السَّامية أن تخفق في الأعالي مبددة سحب الكراهية وغربان العنف في سماء عالمنا المعاصر الملّبدة بغيوم الكراهية والتعصب والتطرف العمياء؟

يقول الباحث الدَّكتور " خالص جلبي " محاولاً الاجابة عن التساؤلات السابقة:" هنالك مذهبان في العالم لا ثالث لهما: يقوم الأول على العنف وتدمير الآخر وإلغائه، والثاني على احترام الإنسان والحفاظ عليه، وكلا المذهبين خلفهما عواطف متباينة، فالأول يسقى بالحقد، والثاني يُغذّى

بالحبّ، والحقد عملياً هو الانكفاء والارتداد على الذات، ولذا فهو مدمّر لأنَّه يحذف الأخر، والحب مشاركة ولذا فهو حياة ونماء"(1).

إنّ ظاهرتي الكراهية والعنف تبرزان كإحدى أهم المعضلات التي يواجهها غير بلد من عالمنا المعاصر، وتولدان أجواء مسمومة سلبية تنعكس سلباً على السلم الاجتماعي المحلي للدّول والسّلم الدّولي وترخيان بظلال سوداء على الحِوار بين الشعوب والأديان ذلك أنهما جرثومتان تضربان المجتمعات الإنسانية في منظوماتهم الثقافية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

....

أزمة تسامح الحِوار:

إنَّ الأحداث الجسام التي تعصف بكثير من البلدان العربية تدلل بجلاء أنَّ جانباً هاماً من جوانب أزمتنا الراهنة هي أزمة تسامح وحِوار لم تعد مرتبطة بأخلاقيات الموقف من الآخر الغربي المسيحي بقدر ماهي أزمة بدأت تظهر داخل الدِّين الواحد، وأحياناً داخل المذهب الواحد. وبالتالي تكون الأسئلة الراهنة المصيرية: كيف نبني ثقافتي السلام والتسامح في مجابهة ظاهرتي الكراهية والعنف؟ وهذا السؤال يحيلنا إلى إشكالية أزمة الأخلاق، ذلك لأنَّ القيم هي المستهدفة، وبالتالي ينبغي على المفكرين والكّتاب استحضار القيم الأخلاقية المشتركة باعتبارها دعامة أساسية من دعائم السلام والتسامح بين الأديان والشعوب.

" ولكي يجد التعايش والسلام العالمي طريقه إلى التطبيق وفقاً للرؤية الإسلامية، فإنَّ كافة السياسات والمواقف والاجراءات التي تتخذ بشأن العلاقة مع الآخر، يجب أن تأتي في أطار الالتزام بمنظومة القيم والمبادئ المعيارية، التي تضمن الوصول إلى هدف السلام والتعايش. ذلك لأنّ الامم والشعوب، وإن اختلفت في عقائدها، واتجاهاتها الفكرية، فلا بد من وجود نقطة التقاء تجمع بينها، ليتم من خلالها التواصل والتعاون المشترك، من أجل الجميع، ونقطة الالتقاء هذه هي عبارة عن مجموعة من القيم الإنسانية المشتركة"(2).

الحروب أكثر من نواقيس إنذار؟

إنَّ كافة الحروب التي شهدها عالمنا وخلال القرون الماضية هي من ثمار تأجيج ثقافة العنف والكراهية

وإلغاء الآخر والضرب بعرض الحائط بكل القيم الإنسانية والدِّينية. ولقد خلّفت الحروب عبر التاريخ عشرات الملايين من القتلى وعشرات الملايين من المعّوقين والجرحى والمشردين. فـ "مع بزوغ الحضارة الإنسانية قبل (600) ستة الآف سنة، بدأت معها دورات الحرب المريعة، كل حرب أشد هولاً في إيقاعها من التي قبلها، وأعظم تدميراً وإراقة للدماء وبين عامي (1496) قبل الميلاد وعام (1861) بعد الميلاد أي خلال (3357) عاماً كان هنالك (227) عاماً انتشر فيها السلام. و(3230) عاماً وقعت فيها الحروب، وهذا يعني أنه كان هنالك عام واحد للسلام مقابل (13) عاماً للحرب. وبين عامي (1740) و (1974) ميلادي حصل في العام (366) نزاعاً مسلحاً أودى بحياة ما يزيد عن (85) مليون إنسان "(3). وغير بعيد عن ذاكرتنا ما حدث في البوسنة

وأفغانستان ورواندا ويحدث الآن في سورية وميانمار.

....

صنع ثقافة السلام

وإزاء كل الأرقام الصَّادمة السابقة التي خلفتها الحروب يكون لزاماُ على المفكرين و السياسيين المساهمة الفاعلة في وضع أسس ثقافة السلام التي ينبغي أن تؤسس على نظام واضح للعلاقة مع الآخر تحكمه قيم العدالة والمساواة والوفاء بالعهود، والأمانة والصدق وتقوده مبادئ التعاون والعمل المشترك.

إنَّ صناعة ثقافة السلام هي صمام الأمان الأكثر فاعلية في مجابهة دعاة الصِّدام وتجار السلاح الذين

يكنزون الذهب والفضة على حساب أرواح ملايين الضحايا.

إنّ صنع ثقافة السلام شرط أساسي لقيام العيش المشترك بسلام وهذه الثقافة السامية ستغيّر الذهنية الجماعية النّمطية التي تنظر إلى العنف على أنه بطولة بدلاً من كونه مدعاة للخيبة والألم والعار.

دور المشتركات الإنسانية في صنع السلام

تجتمع البشرية جمعاء على مجموعة من القيم الإنسانية المشتركة التي من شأنها ـ –إن اشتغل عليها –أن تلعب دوراً هاماً في صياغة مفهوم السلام ووضع آلياته ومنطلقاته الرامية لبناء ثقافة السلام كثقافة إنسانية جامعة لإنقاذ الجنس البشري من عَماء التطرف والعنف والكراهية.

ومن أهم المشتركات الإنسانية الجامعة:

1_ المساواة في الأخوة الإنسانية:

المساواة في الأخوة الإنسانية من أهم أعمدة التعايش السلمي العالمي بين جميع الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم، " فالإنسانية متساوية في الخطاب الدّعوي الإسلامي، ولا يلتفت إلى ما بينهم من فروق شخصية، أو اجتماعية، أو مالية، ولذلك دعا الإسلام إلى الوحدة بين الأمم الإنسانية بالمساواة بين أجناس البشر، وبوحدة التشريع بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية ".

وهكذا فالمساواة تعد واحدة من صور العدل، والعدل هو الروح الثاني للإنسان، يغرس في النفوس حبّ المجتمع وكل القيم الإنسانية الفاضلة.

2_ العدل:

يعدّ العدل من أهم المشتركات الإنسانية، وهو من أهم المقومات التي تقوم عليها الأمة الإسلامية، وقد أخبر عن ذلك رسول الله محمَّد (عليه الصلاة والسلام) حين قال:" لا تزال هذه الأمة بخير إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت، وإذا استرحمت رحمت"(4).

إنَّ مفهوم العدل في الإسلام ليس مجرد شعار يرفع، وإنما هو مبدأ من المبادئ الأساسية التي ترتبط ارتباطاً عضوياً بماهية الإنسان الذي جعله الله خليفة الأرض وميزه بالعقل وأمده بنور الوحي، وهذا ما سهم بتحقيق العدالة، "ومادام العدل صفة لله تعالى الذي خلق هذا الإنسان، فينبغي على هذا الإنسان أن يكون عادلاً في سلوكه ومعاملاته مع نفسه، ومع الآخرين الذين يختلفون

معه من حيث العقيدة والفكرة، وأن يصبح العدل مترجماً لسلوك يمكن معه إزالة الظلم وترسيخ قواعد العدل"(5).

ويأتي إسهام العدل في صنع السَّلام من خلال تطبيق العدالة في مجال العلاقات مع الآخر، أو ما يعرف في العصر الراهن بالعلاقات الدَّولية.

ويرى بعض الباحثين، ومنهم الدكتور " هاشم السوداني " أنَّ "هنالك علاقة وثيقة بين إقرار العدالة، وإقرار السلام، فإذا اختلت العدالة فإنَّ السلام يصبح في خطر، الأمر الذي يتطلب اتخاذ كافة التدابير الكفيلة بإزالة مصدر الخلل بكل وسيلة مشروعة".

3_ الوفاء بالعهود والمواثيق:

تؤكد التعاليم الإسلامية السمحاء إلى الوفاء بالعهود والمواثيق انطلاقاً من الواجب الشرعي الذي يدعو إليه الإسلام، وهو الوفاء بالعهد. قال سبحانه وتعالى:((وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنّ الله يعلمُ ما تفعلون)). وعندما يتعلق الأمر بالعلاقات بين البشر فإن مبدأ الوفاء يتجه مباشرة إلى المعاهدات والعقود المبرمة والالتزام بها وبالأخلاقيات المرتبطة بها، وهذا ينعكس إيجاباً على ترسيخ مبادئ التعايش والتعاون وترسيخ قيم التعاون وتعزيز ثقافة السلام، وذلك لأنَّ الإخلال بالمواثيق ونقض المعاهدات يكون أحد أسباب الحروب التي تجر الويلات على طرفي النزاع وعلى البشرية بأسرها.

4_ التعاون المتبادل:

جاء الأمر في القرآن الكريم بالتعاون المبني على فضائل الأخلاق، الهادف إلى تحقيق الخير الإنساني في العالم. قال سبحانه وتعالى:((وتعاونوا على البرّ والتّقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب)).

وينطوي التعاون على تقرير الاعتماد المتبادل كسياسة عامة في تسيير العلاقة بين المسلم والآخر في مختلف مناحي الحياة، وإذا قام التعاون على أساس المنفعة المتبادلة وعدم الاستغلال والتقوى، فإنَّ النَّاجم يكون في تعزيز التلاحم الإنساني مع قيم العدالة، والمساواة والوفاء بالعهود والتعهدات والمعاهدات وهذه كلها من أهم ركائز العلاقة الإيجابية بين المسلمين وغيرهم، ولا سيما من اتباع الديانات السماوية، هذه الركائز التي تبني عليها

ثقافة السلام ومنها تنطلق لخير الشعوب والبشرية جمعاء.

.....

الضرورات اللازمة لتأسس ثقافة الحِوار

يسعى حِوار الأديان لبناء تصوّر مشترك لثقافة السلام انطلاقاً من اتفاق الدّيانات السماوية الثلاث حول ربط الغاية من بعثة الرسل والمصالح التي تقررها شرائعهم بالضروارت الخمس، وهي حفظ النفس والعقل والنسل والمال والدين، وهي أساس كل سلام وبدونها لا يتحقق السلام، لأنَّ السلام مع النفس والسلام مع الجار والسلام بين الأمم.

وقد أوضح المفكر الدكتور " محمد عابد الجابري " هذه الضرورات التي تتفق عليها الدّيانات السماوية

كقيم معززة لصنع ثقافة السلام كما يلي:" 1_ ففي مجال حفظ النفس يمكنه بناء تصوّر جديد لمفهوم _ الحفظ _ يستجيب لمتطلبات العصر لأنَّ الأصل في مفهوم حفظ النفس هو كف الأذى عنها مهما كان نوعه، والأذية التي تلحق النفس البشرية تمتد على مسافة واسعة منها حفظ الإنسان من أسلحة الدمار الشامل والقتل الجماعي 2_ وهذا النوع من حفظ النفس يتطلب عقلاً سليماً، يكبح ويحبس الميول العدوانية في الناس مهما كان نوعها. ومن هنا ضرورة بناء فهم جديد لحفظ العقل.

3_ ولعلَّ أول واقعة سلوكية يتحقق بها انفصال الإنسان عن الحيوان هي الواقعة الطبيعة المعبّر عنها بـ" حفظ النسل " ولذلك ارتفعت أصوات بضرورة وضع أخلاقيات للبيولوجيا والطب، وأعتقد أن

ضرورة _حفظ النسل _ تتطلب فعلاً وضع أخلاقيات في هذا المجال.

4_ حفظ المال والمقصود: الخيرات المادية بمختلف أنواعها والتي هي ضرورية لحياة الإنسان. وحفظها يعني حمايتها من الضياع والتبذير والاحتكار وسوء الاستعمال، وهذا ما تتفق عليه الديانات السماوية.

5_ حفظ الدين: وحفظ الدين من منظور ثقافة السلام يقتضي أولاً وقبل كلّ شيء حفظ المنطلق الذي انطلقنا، أي أنَّ الديانات السماوية تقصد مصلحة الناس" (6).

****